المرجعية الحقيقية للتنمية المستدامة بين المفهوم الوضعي والمفهوم الإسلامي، دلائل وحقائق

د/ أحسين عثماني
جامعة أم البواقي

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤية وصفية تحليلية عن التحولات التي تشهدها الدول والسعي نحو حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، وكيف تتنافس اليوم على كسب رهان التقدم الحضاري، والادعاء بالسبق في الاشارة الى خطورة الوضع بتدهور البيئة وضرورة التدخل لتحقيق التنمية المستدامة.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الاسلام هو الأقوم في هذا الميدان، فهو يحمل للانسانية منظومة متكاملة في صناعة التنمية المستدامة به بدأت وعليه تكتمل، ما ترك مجالا من مجالات الحياة إلا وقد صبغها بصبغته ولا يحتاج الى غيره لاتمام تميزه.

Abstract:

This study aims to provide a vision and descriptive analytical transformations taking place in countries towards environmental protection and sustainable development, and how they compete to win a bet on the progress of civilization, and the prosecution take precedence in reference to the seriousness of the situation deteriorating environment and the need to intervene to achieve sustainable development.

The study found that Islam is the excellence in this field, it carries an integrated system of humanity in the industry began its sustainable development and it is complete, leaving areas of life, however, has painted From all sides, did not leave the small thing or large and does not require others to complete excellence.

مقدمة:

إذا كانت **قضية** التنمية المستدامة أصبحت اليوم تكتسي أهمية كبيرة على كافة المستويات، انشغلت بها جميع الدول وانعقدت من أجلها العديد من المؤتمرات والملتقيات المحلية والإقليمية والدولية لتأخذ نصيبها من هذه القضية بشكل ينبأ بحجم المشكلة التي تواجه البشرية والتي كانت كلها تهدف لشيء واحد وهو" أن صون البيئة والحفاظ عليها وتحسينها لأجيال الحاضر والمستقبل أصبح هدفا لا سبيل لبني الإنسان إلا تحقيقه ". فكان لابد من تسليط الضوء عليها بطرح بعض التساؤلات حول:

- **ما هي المرجعية الحقيقية لمفهوم التنمية المستدامة وأبعادها؟**

للإجابة عن تلك التساؤلات تقوم الدراسة بإثبات مجموعة من الفرضيات:

- بالرغم أن التنمية المستدامة تعتبر كمصطلح حديث النشأة أثار الكثير من الاهتمامات وتعددت المشارب في تفسيره، غير أن التنمية المستدامة كمفهوم ونشاط ظهر منذ آلاف السنين قبل الميلاد.
- السبق في إبراز مقومات وشروط التنمية المستدامة وأبعادها يعود أساسا إلى المفهوم الإسلامي وليس للمفهوم الغربي كما يزعم الكثير.

أهداف الدراسة Objectives of Research:

تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في تقديم إطار فكري وعملي حول مفهوم التنمية المستدامة وتحقيقها من خلال:

- تسليط الضوء على التنمية المستدامة وأبعادها، ومحاولة ترجمة مبادئها عمليا وتحقيقها بما يتناسب والظروف العالمية، مع تحديد المرجعية الحقيقية للمفهوم، بين محاكاة المفهوم الغربي والمفهوم الإسلامي.

منهج الدراسة Method of Research:

نظرا لطبيعة الدراسة وتحقيقا لأهدافها، تم استخدام مزيجا من المناهج المستعملة في الدراسات الاقتصادية، حيث تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في بعض أجزاء الدراسة لتحديد الإطار النظري للتنمية المستدامة من حيث مفهومها

وأبعادها ومختلف مؤشراتها، كما تم استخدام المنهج المقارن في بعض أجزاء الدراسة لشرح وتحليل مختلف الجوانب المتعلقة بالتنمية المستدامة وركائزها وفق المنظور الغربي من جهة، والمنظور الإسلامي من جهة أخرى، لتحديد أي الاتجاهين كانت له الأسبقية في تناول التنمية المستدامة أكثر شمولية من الآخر، إضافة إلى استعمال المدخل التاريخي لدارسة الحالة بالتركيز على الخبرات المتميزة في الماضي بقصد الاستفادة منها واستخلاص قواعد وأنماط عامة للانتقال من نظام إداري متميز بتجاربه السابقة في تحقيق التنمية المستدامة إلى نظام آخر يواجه مواقف معاصرة مشابهة.

ومن اجل الوصول إلى أهداف الدراسة والإجابة عن المشكلة المطروحة فقد تم الاعتماد على الخطوات التالية:

أولا: طبيعة التنمية المستدامة وأبعادها

إن السلبيات الناتجة عن التنمية المنتهجة سواء في المجال الصناعـــي أو الزراعـــــي من تلوث الماء، الهواء، التربة والتي أثرت بشكل كبير على صحة الإنسان وحياته وحياة الكائنات الحية الأخرى، أصبحت البيئة اليوم تكتسي أهمية كبيرة على كافة المستويات، انشغلت بها جميع الدول، وعلى هذا الأساس يتم تناول مفهوم التنمية المستدامة وعناصرها الأساسية من خلال ما يلي:

1- مفهوم التنمية المستدامة(Sustainable Development):

تبلور مصطلح التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير البيئة والتنمية عام 1987 من قبل لجنة تشكلت برئاسة السيدة بونتلاند[1] رئيسة وزراء النرويج لتحقيق أهداف تنصب نحو تحقيق ما يسمى " مستقبلنا المشترك" (Our Common Future).[2] وقد احتوى لوحده على ستة تعاريف التنمية المستدامة من بينها:

- «التنمية المستدامة هي التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون الإخلال بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها.»[3]

- كما تعرف التنمية المستدامة على أنها: « ظاهرة جيلية، أي عملية تحويل من جيل إلى جيل آخر وكذلك هي عملية متكاملة تعمل على تحقيق التنمية الاجتماعية والبيئية والاقتصادية وتحدث على مستويات عدة متفاوتة (عالمية، إقليمية ومحلية).[4] ومن ذلك فالتنمية المستدامة تعني ضرورة تنمية مصادر بديلة ونظيفة كالطاقة الشمسية، الطاقة النووية الآمنة، لتحل محل المصادر القابلة للنضوب، وتعويض الأجيال المقبلة.

2- أبعاد التنمية المستدامة:

من الضروري أن يكون هناك تكامل استراتيجي لتحقيق التنمية المستدامة[5] وفق ما هو مبين في الشكل رقم1 أدناه.

الشكل رقم 1

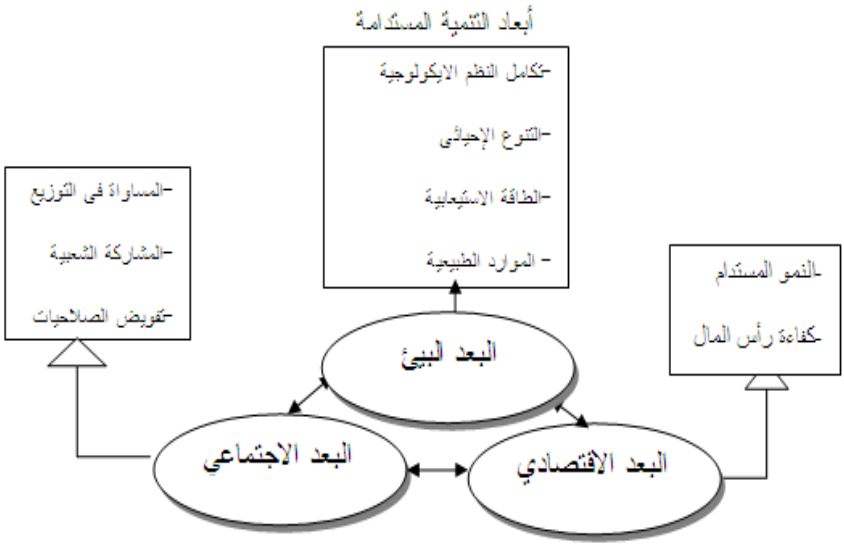

المصدر:عثمان محمد غنيم، ماجدة أبو زنط، **التنمية المستدامة وفلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها**، (عمان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2007)، ص39.

ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك وجهات النظر ترى في تحقيق التنمية المستدامة ضرورة إدخال البعد الإداري الذي قوامه التنمية البشرية وكفاءة وفعالية الإدارة، حيث تشكل الإدارة السليمة للموارد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية نظام الاستدامة(Sustainability System) الذي يرتكز على تلك الأبعاد التي تتسم بالترابط والتكامل والتداخل.

3- مؤشرات التنمية المستدامة:

من الضروري توافر مقاييس دقيقة علميا للاستدامة لكي تظل عنصرا متوازنا ضمن الأبعاد السابقة، وتطوير تلك المؤشرات مستند على مجموع المتغيرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية المترابطة فيما بينها وأي تغيير يطرأ على جانب منها يطرأ على الآخر وينعكس بصورة آو أخرى على باقي الجوانب.[6]

وقد اعتمدت مؤشرات التنمية المستدامة في مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة لعام 1996.[7]

وتنقسم مؤشرات التنمية المستدامة عادة إلى أربع فئات رئيسية بناء على تعريف التنمية المستدامة نفسه، حيث تنقسم إلى مؤشرات اقتصادية واجتماعية وبيئية وكذلك مؤشرات إدارية وتسمى عادة بمؤشرات الضغط والحالة والاستجابة Pressure- state- respons Indicators لأنها تميز بين مؤشرات الضغط البيئية مثل: النشاطات الإنسانية، التلوث، انبعاث الكربون ومؤشرات تقييم الحالة الراهنة مثل نوعية الهواء والمياه والتربة ومؤشرات الاستجابة مثل الإنفاق والمساعدات التنموية.

وتتمحور مؤشرات التنمية المستدامة حول القضايا الرئيسية التي تضمنتها توصيات الأجندة 21 وهي التي تشكل إطار العمل البيئي في العالم والتي حددتها لجنة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.

ثانيا: مفهوم وركائز التنمية المستدامة وفق المنظور الغربي

إن الاهتمام بالبيئة كقضية تهم البشرية جمعاء من المنظور الغربي بدأ منذ سنوات الخمسينات، حيث عقدت عدة لقاءات ومؤتمرات كللت بعدة اتفاقيات في هذا الشأن، وهي كثيرة لا مجال لحصرها، لكن المهم إدراك شعوب العالم لما يهددهم والتحرك من أجل معالجة المشكلة.

1- أهمية التنمية المستدامة من المنظور الغربي:

كأهم المؤتمرات الدولية المنعقدة طيلة المسيرة في معالجة هذه القضية بين عام 1972 و2012، فقد استكملت هيئة الأمم عقد عدة مؤتمرات ذات أهمية خاصة وهي:

- ✓ مؤتمر ستوكهولم 1972 الذي كان منصبا حول كيفية استغلال الموارد والثروات، وكذلك بالاستغلال الجائر للموارد المتاحة
- ✓ مؤتمر ريو دي جانيرو البرازيل 1992، حول " البيئة والتنمية: كان يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها: العمل بثلاث قواعد (الكفاءة الاقتصادية، صون البيئة وترشيد استعمال مواردها، حق الأجيال القادمة في بيئة سليمة)،
- ✓ اتفاقية كيوتو 1997 المتعلقة بالتغير المناخي والتي تهدف إلى:

  - تثبيت تركيز الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي؛
  - الاهتمام بالغابات وسياسات التشجير والتعاون الدولي؛

- البحث والتطوير وإنتاج تقنيات صديقة للبيئة.

✓ المؤتمر الثالث مؤتمر جوهانسبورغ بجنوب إفريقيا 2002، " التنمية المستدامة " : داعم لأفكار وأهداف المؤشرات السابقة.[8]

✓ المؤتمر الرابع بكوبنهاغن 2009 الذي إهتم بالتغيرات المناخية، وكانت أهم توصيات هذا المؤتمر، ضرورة الحفاظ على درجتين كأقصى حد لدرجة ارتفاع الحرارة.

✓ مؤتمر كانكون بالمكسيك 2010، حول حماية الأرض من التغيرات المناخية وقد توج تقريره بجملة من التوصيات أهمها:

- ترشيد استعمال الطاقة التقليدية، اعتماد مصادر للطاقة المتجددة والبديلة وتطوير التكنولوجيا، والتعاون الدولي ونقل التكنولوجيا والتقنيات الصديقة للبيئة، تكوين لجنة التكييف التي تقوم بمساعدة الدول في رسم الخطط لحماية المناخ؛ وإنشاء ما يعرف بصندوق المناخ الأخضر يهدف لجمع 100 مليار لمكافحة التغير المناخي.

✓ مؤتمر ريو+20 وهو الاسم المختصر لمؤتمر الأمم المتحدة المعني بالتنمية المستدامة، المنعقد بريو دي جانيرو بالبرازيل بتاريخ 20–22 يونيو 2012 أي بعد 20 عاما من مؤتمر قمة الأرض التاريخي الذي انعقد بنفس المكان سنة 1992 المشار إليه أعلاه، وهو أيضا فرصة للتطلع إلى العالم الذي نريده في غضون 20 عاما[9]، وفيه تم توضيح معالم " المستقبل الذي نبغي"، كما يلي:[10]

- إطلاق عملية تحديد الأهداف الكونية للتنمية المستدامة.
- وضع آليات جديدة للتمويل والاعتراف بالدور المركزي لعمليات التمويل المبتكر من أجل تنفيذ التنمية المستدامة.
- مزيد من الاهتمام للحفاظ على المحيطات.
- الاعتراف بالاقتصاد الأخضر والعادل.

- تهديد التنوع البيئي وعدم المساواة البيئية ومحاربة الفقر.

إن أهم ملاحظة يمكن استخلاصها هي أن تلك المؤتمرات، ما هي إلا مؤشرات على تطور المفاهيم واستيعاب الشعوب والدول للعلاقة التي تربط الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، فالتنمية مسعى جل الدول من أجل الرفاه والرقي لشعوبها والحفاظ على البيئة شرط لا بد منه لمواصلة مسيرة التنمية.

2- أسس وقواعد التنمية المستدامة وفق المنظور الغربي:

أ- **تغيير أنماط الاستهلاك والإنتاج غير المستدامة:**[11]

ينبغي للحكومات والمنظمات الدولية ذات الصلة والقطاع الخاص وكافة الفئات الرئيسية أن تؤدي دورا حاسما في السعي إلى تغيير أنماط الاستهلاك والإنتاج غير المستدامة، ويتضمن هذا اتخاذ الإجراءات المبينة أدناه على جميع المستويات:

- تشجيع وتعزيز وضع إطار برامج بغية تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية ضمن الطاقة الممكنة للنظم الإيكولوجية بمعالجة، وعند الاقتضاء، بالفصل بين النمو الاقتصادي والتردي البيئي من خلال تحسين الكفاءة والاستدامة في استخدام الموارد وعمليات الإنتاج مع التقليل من تردي الموارد والتلوث والتبديد .

- زيادة الاستثمار في الإنتاج الأكثر نظافة وفي الكفاءة البيئية؛

- دمج المسألة المتعلقة بأنماط الإنتاج والاستهلاك في سياسات التنمية المستدامة وبرامجها واستراتيجياتها؛

- تعزيز مسؤولية الشركات ومساءلتها وكذلك المسؤولية والمساءلة البيئية والاجتماعية؛

- التشجيع على إتباع منهج متكامل إزاء صنع السياسة على الصعيد الوطني والإقليمي بالنسبة لخدمات النقل وشبكاته التي تعزز التنمية المستدامة، بغية توفير

نقل آمن وميسور المنال يتسم بالكفاءة، وزيادة كفاءة استخدام الطاقة، وتخفيض التلوث، وتقليل ازدحام المرور وتقليل الآثار الصحية الضارة؛

- منع حدوث النفايات والحد منها قدر المستطاع وبلوغ الحد الأقصى في مجال إعادة الاستعمال والتدوير واستخدام مواد بديلة غير ضارة بالبيئة؛

- تجديد الالتزام بالإدارة السليمة للمواد الكيميائية كما جاء في جدول أعمال القرن 21 طيلة دورة حياتها والنفايات الخطرة من أجل التنمية المستدامة ولحماية الصحة البشرية والبيئة، ويستهدف ذلك، في جملة أمور، أن يكفل بحلول عام 2020 استخدام وإنتاج المواد الكيميائية بطرق تؤدي إلى تقليل الآثار البالغة الضرر بالصحة البشرية والبيئة.

ب- حماية وإدارة قاعدة الموارد الطبيعية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية:[12]

وفي هذا الخصوص، يلزم لتغيير الاتجاه السائد فيما يتصل بتردي الموارد الطبيعية بأسرع ما يمكن، تنفيذ استراتيجيات تتضمن الأهداف المعتمدة على المستويات الوطنية والإقليمية إن أمكن، لحماية النظم الإيكولوجية وتحقيق الإدارة المتكاملة للأراضي والموارد الحية، مع تعزيز القدرات الإقليمية والوطنية المحلية.

ثالثا: مفهوم وأسس التنمية المستدامة وفق المنظور الإسلامي.

ركز المنطق العقائدي في الإسلام على فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة والتوازن البيئي، من خلال تشريعات خاصة لحماية البيئة والترشيد والاعتدال في الاستهلاك للموارد، كانت حتى قبل الميلاد من خلال ما يلي:

1- الدعوة قبل الميلاد إلى التنمية المستدامة والحفاظ على الموارد الطبيعية:

إن مهمة التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي هي توفير متطلبات البشرية حاليا ومستقبلا، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية. ويتضح كل ذلك في إدارة التنمية المستدامة التي مارسها

يوسف – عليه السلام – منذ سماعه لرؤيا الملك إلى نهاية الأعوام الخمسة عشر، وقد شملت كافة مبادئ إدارة الأزمة في العلوم الإدارية الحديثة، واستطاع يوسف – عليه السلام – تجاوز الأزمة تجاوزا حقيقيا كما ورد في القرآن الكريم وبينه المفسرون وأوضحته كتب التاريخ القديم التي بينت بان أبناء يعقوب وأبناءهم قد مكثوا في ارض مصر أكثر من أربعمائة سنة. [13] واستطاع يوسف عليه السلام خلال هذه الفترة تحقيق السعادة المادية والمعنوية تحقيقاً ينسجم مع قصد الشارع من استخلافه في الأرض وإعطاء أهمية صون النظم البيئية، وأن يخطط معدلات الاستهلاك، بحيث يحافظ على التوازن بين احتياجات سكان مصر ولمن حولهم من الدول الأخرى المجاورة وتأمين الغذاء لهم، وبين طاقات تلك النظم وقدرتها على الاستمرارية والعطاء.
و من أهم الضوابط لبرامج التنمية المستدامة عند يوسف عليه السلام:

- المحافظة على سلامة البيئة (خصوبة التربة، تدوير عناصر الغذاء، نظافة المياه، جودة الهواء).
- المحافظة على الموارد الوراثية للأحياء الحيوانية والنباتات، والحد من فقدان التنوع الحيوي.
- ترشيد الاستخدام المتواصل للموارد الطبيعية (وبخاصة الموارد النباتية والحيوانية)، بحيث لا يكون الاستهلاك أكبر من قدرة هذه الموارد على التكاثر والإنتاج.
- مضاعفة الإنتاج والاستثمار تقنين الاستهلاك في قوله لهم: "**.... تزرعون سبع سنين دأبا** ...."، وقوله: "....**إلا قليلا مما تحصنون**...."، بتطبيق قاعدة الذي يتم إنتاجه أولا يستهلك أولا حسب الكميات المطلوبة. وفي نهاية السنة السابعة من الرخاء يجب أن يتم استهلاك محصول السنوات الثلاثة الأولى، مع توفر محصول السنة الرابعة، الخامسة، السادسة والسابعة في أماكن التخزين، وتبدأ عملية الاستهلاك المذكورة ضمن القاعدة السابقة على حسب سنوات الجذب.

- **اتخاذ القرارات وحل الأزمات:** ويتجلى ذلك واضحا وجليا في رؤيا الملك حيث يقول الله سبحانه وتعالى على لسان الملك: " **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)...وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**".(50).[14]
- **إدارة حفظ السنبلة (فما حصدتم فذروه في سنبلة):** هل تستخدم الوسائل البدائية في تخزين المحصول الفائض مما يتسبب لها الهلاك والضرر والضياع ؟. أم نستخدم الأساليب الحديثة ومعالجة المحصول بالمواد الكيماوية التي يترتب عليه الأضرار البيئية والأمراض التي تكون سببا في بؤس هذا الإنسان؟.[15]

والإعجاز العلمي في ترك الحبوب في أغلفتها وعلى محورها يتجلى في حفظ الحبوب من التلف.[16]

من خلال آراء المفسرين للآيات القرآنية بسورة يوسف عليه السلام، يتضح أنهم متفقون على معاني إجمالية، أنه لو يتم ترجمة النصائح السابقة لخطة عمل فإن الأمر سيتناول قضايا كثيرة منها:

- التعامل مع عدد السكان على مدار أربعة عشرة سنة.
- تجهيز مخازن للغلات الزراعية على مدار سنوات الإنتاج السبع الأولى. وعمل موازنة بين الإنتاج والاستهلاك والتخزين للسنوات الخمس عشر.

وفي ذلك الإطار يقول الدكتور احمد نوفل: بعد كل هذا تأمل كيف زاد يوسف – عليه السلام – نسبة التشغيل والفاعلية حتى استغرقت الطاقة كل قادر على بذل كل جهد تمثل ذلك في قوله (زرعه) ثم كيف زاد الإنتاج الكلي لمصر إضعافا وهذا هو سبب التنمية. أن الخطة اليوسفية قد راعت هذا كله، فزادت الإنتاج إلى ما نستطيع تقديره بنسبة (400%) وأولت اهتماما ولا شك كبيرا للعوامل البشرية.[17]

بعد بيان ما سبق يظهر أن اثر الجدب كان في مصر وارض كنعان وارض اليمن، ويكون ذلك دليل على اتساع دائرة المجاعة من موقع مصر في

مواجهة الأزمة بشكل عام وان أخبار هذا الوزير قد وصلت إلى الدول المجاورة وأصبحت محط أنظارهم بالتزود بالطعام .

2- الدعوة بعد الميلاد إلى التنمية المستدامة للحفاظ على الموارد الطبيعية:

في مجال العناية بالبيئة وعناصرها والدعوة للتنمية نجد الإسلام يدعو للاهتمام بالزراعة وبيان الغاية منها بالنفع على الإنسان والحيوان من خلال:

- ✓ **الحث على الغرس والتشجير والزرع:** عن أنس – رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "*إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها* ". وعن أنس – رضي الله عنه– أيضا، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "*ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقة* "، [رواه الإمام البخاري].
- ✓ النهي عن الإفساد في البيئة حتى في أوقات المعارك والجهد ضد الأعداء فيقول الرسول عليه السلام وهو يوصي آخر جنده: " لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً ولا تحرقوا نخلاً ولا زرعا " [رواه أحمد].
- ✓ بالنسبة للتلوث السمعي والضوضاء التي أحست به البشرية حديثاً، نجد أن الإسلام قد سبق إلى النهي عن الضجيج بأسلوب بليغ، يرذل رفع الصوت ويقبحه في صورة منفرة محتقرة، وذلك في قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: "**واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**".[18]
- ✓ **محاربة** الإسلام القيم والعادات الاستهلاكية المسرفة، وأبرز مدى خطورتها ومخاطرها على المجتمع، فعمل على نشر وإرساء العادات والقيم الاستهلاكية الرشيدة، التي وازن بين المتاح والمطلوب، قال عليه الصلاة والسلام: "*لا تسرفوا ولو كنتم على نهر جار*"، [رواه ابن ماجه]، فالإسراف يفضي إلى مشكلات بيئية أخرى لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده، بل يمتد ليشمل باقي الأحياء التي تشاركه الحياة على كوكب الأرض.

3- الضوابط الشرعية للتنمية المستدامة في السنة النبوية: [19]

لقد تبيّن من خلال الكلام في مفهوم التنمية وهدفها من المنظور الإسلامي أنها تتطلب وضع ضوابط منها:

- ✓ عمارة الأرض: تتمثل عمارة الأرض في الإسلام في كل الوسائل التي يمكن من خلالها إحداث مختلف أنواع التنمية، سواء أكانت اقتصادية (صناعية/ زراعية) أم حضرية أم اجتماعية أم صحية أم روحية...إلخ .

- ✓ لا إفراط ولا تفريط: اهتم الإسلام بحماية الموارد الطبيعية وحماي البيئة، فحثّ الأفراد على الاعتدال في شؤون الحياة كافة، ، ولا إسراف ولا تقتير. ويندرج تحت هذه الركيزة أيضا عدم الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل،
- ✓ المحافظة على الحياة الفطرية: نجد أن السنة النبوية نهت عن قطع السدر. فعن عبد الله بن حُبْشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: *"من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار"*. وقطع سدرة يدلّ على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفَّره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثّله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان.
- ✓ المحافظة على المصادر المائية من التلوث: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء الراكد حفاظا على سلامة الماء من التلوث؛ وعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " *لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه*"، وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه– قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " *اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل*".

- ✓ الإحسان في كل شيء: ما من شك في أن تحقيق مبدأ التنمية المستدامة يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع البيئة برفق وإحسان، فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه، فعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "*إن الله كتب الإحسان على كل شيء...*".
- ✓ وإذا كان ورود الصحيح ممنوعا على المريض، فكيف الأمر بمن يتسبب، بغيا وعدوانا، في نشر التلوث الكيميائي أو الإشعاعي أو الميكروبي. وقياسا على ذلك، إذا حدث طاعون بيئي معاصر كانفجار معمل للغازات السامة، أو مفاعل نووي.
- ✓ المحافظة على التنوع الحيوي: دعت السنة النبوية إلى عدم إفناء أمم الطير والحيوان، نظرا لأهمية ذلك في تحقيق التوازن البيئي، إذ إن التنوع الحيوي يوفِّر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض. فعن عبد الله بن مغفل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"*لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم*".

- ✓ المحميات الطبيعية: فقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة كما حمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة الحرم في مكة، فلا يمس فيهما حيوان إلا المؤذي، ولا نبات إلا ما اقتضته الضرورة . وحظرت الشريعة الإسلامية على كل من أحرم بالحج أو العمرة أن يقتل صيدا أو يقطع شجرة في الحرم أو يكسرها أو يحرقها، أو يزيل نباتا إلا ما كان منه يابسا ولحاجته.
- ✓ تحقيق لمبدأ الاستخلاف في الأرض يجب أن تكون المنتجات متفقة مع حاجات الفرد والمجتمع تحقيق لمقصد حفظ المال، وهي تلك المنتجات التي لا بد فيها لاستمرار الحياة ونظام المجتمع بالفروض الدينية....في دائرة المباح فقط من السلع والخدمات حسب مراتبها من حيث: [20]

- الأهمية الدينية، تحقيق الأمن، أهداف عامة، الحفاظ على الحياة، إمكانيات المجتمع، البديل والتكميل، مدى

الانتشار، الظروف المختلفة ويمكن تحديد المعايير السابقة في شكل المحافظة على الضرورات أو اللوازم الخمسة التي حددها الشارع: << الدين، النفس، العقل، النسل والمال >>.

الخاتمة(النتائج والتوصيات):

من خلال ما سبق يمكن استخلاص بعض النتائج التي تم التوصل إليها وهي:

- من الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولا، بل إنه أكثر إلزاما من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين المنبثقة عن قمة (ريو). فالنظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة تعنى بالنواحي المادية، جنبا إلى جنب مع النواحي الروحية والخلقية.
- فالإسلام بكماله وشموله، لم يدع شيئاً فيه سعادة للبشرية ورقيها، إلاَّ ووضع له الضوابط الدقيقة والمعايير الواضحة.
- إن نجاح برامج التنمية المستدامة يعتمد بصورة أساسية على مراعاة القيم الأخلاقية في مجال التعامل مع البيئة واستغلال الموارد الطبيعية .

وعل ضوء النتائج السابقة يمكن طرح بعض الاقتراحات أو التوصيات:

- يجب دراسة قضايا التنمية المستدامة وحماية البيئة من منظور إسلامي، وتعريف الآخرين بذلك، نظرا لأهمية ذلك في التصدي للمشكلات البيئية التي يعاني منها العالم حاليا.

- دعوة المفكرين والفقهاء والباحثين وخبراء التنمية المستدامة إلى التعاون فيما بينهم لعرض الرؤية الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة وسبل تحقيقها في دول العالم الإسلامي، والعمل على تصحيح المسار وبيان مواطن الخلل كلما أتيحت لهم الفرصة في المحافل العلمية والفكرية .

المراجع:

[1] عبيرات مقدم، وبلخضر عبد القادر، " الطاقة وتلوث البيئة والمشاكل البيئية العالمية "، ***في مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير***، العدد 2007/07، (الجزائر : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007)، مجلة تصدرها كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ص50.

[2] اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ، " **مستقبلنا المشترك**"، سلسلة عالم المعرفة، العدد 142، الكويت، تاريخ: 1989، ص17.

[3] " **الطاقة لعالم الغد –فعالية الوضع الراهن**" – رسالة مجلس الطاقة العالمي لعام 2000، ترجمة: ماهر عزيز بدروس، الطبعة العربية، (الكويت: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، 2002)، ص70.

[4] عبدالله بن جمعان الغامدي، " **التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة**"، قسم العلوم السياسية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 10 أوت 2007، ص9.

[5] مطانيوس مخول، عدنان غانم، " نظم البيئة ودورها في التنمية المستدامة "، ***في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية***، المجلد 25– العدد الثاني، 2009، ص39

[6] أحمد طه محمد صغير، " **المؤشرات والمراصد الحضرية للدول والمحليات العربية: دليل تدريب**"، المعهد العربي لإنماء المدن بالتنسيق مع المرصد الحضري العالمي بمركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، (الكويت: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وجمعية دراسات التنمية، 2000)، ص29.

[7] الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا، المركز الإنمائي الإقليمي لشمال إفريقيا– الاجتماع السادس عشر للجنة خبراء للحكومة الدولية، تقرير" **وضع واستخدام المؤشرات القابلة للتطبيق فيما يتعلق بالأمن الغذائي والتنمية المستدامة**"،(المغرب: طنجة، 13–16 مارس 2001).

[8] منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول– أوابك–، " **قمة الأرض** " **وقضايا البيئة نحو تقاسم عادل للمسؤوليات** " من كلمة العدد للنشرة الشهرية الصادرة، (الكويت: إدارة الإعلام والمكتبة، أكتوبر 2002).

[9] مؤتمر الأمم المتحدة/ www.Uncsd2012.org/content/document/814UNCSDREPORT Finalrevs.pdf. تاريخ الزيارة: 2012/10/20 الساعة: 7:55

: تاريخ الزيارة: 2012/10/20 الساعة: 7:55. www.diplomaties.org.fr/diplomaties-Environnemental/

[10] مؤتمر الأمم المتحدة، على الموقع:

[11] وثائق الأمم المتحدة، **مشروع خطة التنفيذ المعد من أجل مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة**، الفصل3، الفقرات من 13 إلى 22 على الموقع: www.UN.org/daccess-dds-ny.un.org/doc/UNNOC/GEN/N°2/571/19/pdf، تاريخ الزيارة: 2012/10/20 الساعة: 7:55.

[12] وثائق الأمم المتحدة، **مشروع خطة التنفيذ المعد من أجل مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة**، الفصل4، الفقرات من 23 إلى 28 على الموقع: www.un.org/arabic/conferences/WSSD/agenda21/index.html، تاريخ الزيارة: 2012/10/20 الساعة: 7:55.

[13] الأسرة المسلمة على الموقع: http://islamicfamily.roro44.com/islamicfamily-62-642-0.html 11/07/2012

[14] – سورة يوسف، الآيات: 43 و50.

[15] – نظم الدرر في تناسب الأيات والصور ،ج 4 ،ص 52.

[16] – انظر **الإعجاز العلمي في حفظ الحبوب** في سورة يوسف عليه السلام.
26 http :medicalstudents.ahlamontada.com/montada-f9/topic-t480.htm

[17] – احمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 414.

[18] سورة لقمان الآية 19.

[19] محمد عبد القادر الفقي، **ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية**، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، الأمانة العامة لندوة الحديث على الموقع: http://www.hrdiscussion.com/hr14822.html

[20] عبد الحميد عبد الفتاح المغربي، **الإدارة الإستراتيجية في البنوك الإسلامية**، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2004، ص 376.